انتقال المعارك الحربية

من الأراضي الليبية إلى تونس

الفصل الثامن عشر

obeikandl.com

obeikandl.com

عـقب معركـة العقيلـة، ووقـوف روميـل علـى خـط البـويرات قـرَّر روميـل الوقوف بقواته للمرة الثانية في وجه مطارديه على خـط البـويرات علـى بعد نحو 350كم غرب خط العقيلة، ولم يكن الموقع الجديد في قوة ومناعة خط العقيلة، فبرغم استناده في حدِّه الشمالي على البحر المتوسط فلم يكن يستند في حده الجنوبي علـى مانع طبيعي مثل الخط السابق لتأمينه ضد أي حركة تطويق، ولكن خـط البـويرات كـان يقع خلف مجموعة من الوديان العميقة والمتسعة ذات الرمال الناعمـة، ممـا يـشكل عقبـة خطيرة بالنسبة لأي مهاجم.

وكان مونتجومري يستهدف مـن هجومـه تـدمير قـوات المحـور، وهـي في مواقعهـا الدفاعية بخط البويرات في معركة حاسمـة مـستغلاً تفـوق قواتـه الـساحقة، وخاصـة في الدبابات والمدفعية، فضلاً عما كان يحوزه الطيران البريطاني من سيادة جوية علـى أرض المعركة، وبذا تتاح له الفرصة للتقدم مباشرة دون أي عائق للعاصمة الليبيـة طـرابلس في الوقت الذي يفقد فيه روميل مقدرته المعهودة في سرعة الانسحاب، ويعجز عن احـتلال الموقع القوي (الخمس ـ ترحونة) الذي يقع على بعـد 120كـم شـرق طـرابلس، ولكـن سوء الموقف الإداري بسبب طول خط مواصلات الجيش الثامن، وهو إحدى خـصائص حرب الصحراء كان يستلزم تكديس كمية كبيرة من الوقود والذخائر في القاعدة الأمامية التي اختارها مونتجومري في مدينـة سـرت، والـتي تقـع شـرق خـط البـويرات بمـسافة 100كم، وتحقيقًا لمبدأ المحافظة على التوازن الإسـتراتيجي قـرَّر مونتجـومري أن يتقـدَّم الفيلق 10 إلى خط العقيلة فور تقدم الفيلـق 30 للـهجوم علـى خـط البـويرات، وتحـدَّد موعد الهجوم ليكون في منتصف يناير 1943.

وقرر مونتجومري أن تكون خطة هجوم الفيلق 30 على خط البويرات كما يلي:

§ مجموعـة الفـرقتين 50 و51 مـشاة تقومـان بـالهجوم بالمواجهـة علـى محـور الطريـق الساحلي.

§ مجموعة الفرقتين 2 نيوزيلندية و7 مدَّرعة تقومان بعملية تطويق واسعة حول الحد الجنوبي لخط البويرات، ثم تنحرفان بعد ذلك للشمال الغربي؛ لقطع خط الرجعة على قوات المحور.

§ اللواء 22 مدرع (من الفرقة 7 مدرعة) يعمل كاحتياطي في الوسط لمعاونة أية مجموعة من المجموعتين، ولحفظ الاتصال بينهما.

أما الفيلق 10 المدرع وكان يتشكل من (الفرقتين 1 و10 المدرعتين، والفرقة 4 مشاة الهندية) فعليه التقدُّم إلى خط العقيلة عقب تقدم الفيلق 30 لشنِّ هجومه على خط البويرات.

ولكن الأحداث جعلت هذه الخطة من المتعذر تنفيذها، فقد هبَّت يوم 4 يناير عاصفة مدمِّرة على ميناء بني غازي أدت إلى تحطيم الحاجز الخارجي للميناء، وإغراق 4 سفن كبيرة، وعدد من ناقلات الجنود والصنادل، مما تسبب في هبوط معدل التفريغ في الميناء إلى ألف طن يوميًا، وإزاء ذلك اضطر مونتجومري إلى تعديل خطته، ولكن دون تغيير موعد الهجوم حتى لا تتهيأ الفرصة لروميل للحصول على إمدادات جديدة، وحتى لا يتسع الوقت لقيادة قوات المحور لتعزيز قواتها الأخرى في تونس.

وكان التعديل الذي طرأ على خطة الهجوم بسبب الموقف الإداري هو جَعْلها أساسًا معركة تطويق للحد الجنوبي لخط البويرات كما يلي:

§ الاكتفاء بهجوم فرقة واحدة (الفرقة 51 مشاة) للقيام بالهجوم بالمواجهة على المحور الساحلي، لتثبيت قوات المحور في مواقعها الدفاعية، مع مراعاة عدم تورطها في القتال.

§ عدم تقدُّم الفيلق 10 إلى موقع العقيلة، وسحب جميع وسائل نقله لاستخدامها في إحضار احتياجات الفيلق 30 من طبرق ـ بعد هبوط معدل التفريغ في ميناء بني غازي ـ حفاظًا عليه عقب بدء عملية الهجوم على خط البويرات.

§ سحب الفرقة 1 مدرعة (من الفيلق 10)، ووضعها تحت قيادة الفيلق 30؛ لتعزيز عملية الهجوم مما سوف يؤدي إلى إحراز هذا الفيلق التفوق في عدد الدبابات، وبالتالي سرعة تقدمه إلى طرابلس.

وفي صباح يوم 15 يناير بدأ تحرُّك مجموعة التطويق (الفرقتين 2 نيوزيلندية و7 مدرعة)، وقد اشتبكت في طريقها بعناصر من الفرقة 15 البانزر الألمانية وأجبرتاها على الانسحاب.

وفي مساء اليوم نفسه بدأ هجوم الفرقة 51 مشاة بالمواجهة على المحور الساحلي، ولكن الهجوم لم يلبث أن توقف؛ نظراً لكثافة حقول الألغام، وبرغم ذلك لم يحاول روميل البقاء بقواته على خط البويرات، بل بدأ في سحب قواته من الخط الدفاعي خلال الليل مستغلاً ساعات الظلام، وإزاء ذلك أمر مونتجومري صباح يوم 16 يناير قوات الفيلق 30 بمواصلة التقدم غرباً بأقصى سرعة ممكنة، ولكن ذلك لم يكن متيسراً، فقد تعثَّرت الفرقة 51 في حقول الألغام، مما عطل تقدمها غرباً، بينما استمرت مجموعة التطويق في طريقها الشاق الطويل، مما أتاح الفرصة لروميل للإفلات بقواته.

ولكن الفرقة 51 مشاة لم تلبث أن نجحت في عبور حقول الألغام، وواصلت تقدمها غرباً حتى استولت على (مصراته) يوم 18 يناير بعد أن تقدمت حوالي 100كم في الوقت الذي استمرت فيه قوات المحور في الانسحاب على الطريق الساحلي معتمدة على أعمال النسف، وحقول الألغام، وعمليات المؤخِّرات القوية لتعطيل تقدم وحدات الفيلق 30، وساعدتها الطبيعة في ذلك، فقد لاقت مجموعة التطويق صعوبات وعورة الأرض الصخرية التي كانت تتحرك فوقها.

وفي يوم 19 يناير اصطدمت مجموعة التطويق بمؤخرة ألمانية قوية جنوب (ترحونة) مما عطَّل تقدمها نحو 48 ساعة، ونتيجة لانهيار خط البويرات وانسحاب قوات المحور، لذا أمر مونتجومري بتحويل اللواء 22 مدرع (من الفرقة 7 المدرعة) إلى المنطقة الساحلية ليمر من خلال الفرقة 51 مشاة، وقد نجحت.

وفي فجر يوم 23 يناير 1943 دخلت قوات الفيلق 30 البريطاني طرابلس، وبذلك انتهت المرحلة الثالثة من مراحل المطاردة البريطانية لقوات المحور بعد معركة العلمين.

وأمر مونتجومري الفرقة 7 المدرعة من الفيلق 30 بمتابعة انسحاب قوات المحور غربًا، فأخذت تتقدم على الطريق الساحلي في اتجاه (زواره) على مسافة حوالي 120كم غرب طرابلس وعلى بعد نحو كيلومتر من الحدود التونسية، وتمكَّنت يوم 31 يناير من طرد مؤخِّرة الفرقتين الألمانيتين 90 خفيفة و164 مشاة، ودخول (زوارة)، وفي يوم 4 فبراير 1943 عبرت أخر المؤخرات الألمانية حدود تونس، وأصبحت ليبيا خالية من قوات المحور، وتم فتح ميناء طرابلس، ووصل معدل التفريغ فيه إلى 2000 طن يوميًّا على أن يتم الاحتفاظ بكميات التموين التي تصل عن طريق ميناء طرابلس استعدادًا لمعارك تونس.

وكان الجنرال الفرنسي لكلير قد نجح في تكوين قوة تعادل لواء مشاة في منطقة بحيرة تشاد شمال العاصمة (نجامينا) من الفرنسيين، وبعض مواطني تشاد لإثبات اشتراك الفرنسيين الأحرار التابعين للجنرال ديجول في الحرب ضد قوات المحور؛ ونظرًا لضعف موارده لم يستطيع تسليح هذه القوة إلا بأسلحة قديمة، كما اعتمد في تنقلاتها على عدد من العربات والإبل، وقد تقدمت هذه القوة، وتم تسليحها بالأسلحة الحديثة، مما جعلها تشترك مع الجيش الثامن في عملياته المقبلة.

هجوم روميل على الفيلق الثاني الأمريكي

في 8 نوفمبر 1942 بدأت عمليات غزو الحلفاء للمغرب والجزائر، وبدأت قوات الغزو الأمريكي بقيادة إيزنهاور في التقدم شرقًا إلى تونس؛ لاحتلال موانئها، وتوجيه ضربة قاضية إلى قوات المحور التي انسحبت أمام الجيش الثامن من ليبيا إلى تونس بقيادة الفيلد مارشال روميل، وفي الوقت نفسه سارعت القيادة الألمانية برغم مفاجأتها بالغزو إلى إرسال قوات برية عن طريقي البحر والجو إلى تونس لمنع قوات الحلفاء من احتلالها،

ولتأمين قوات المحور التي انسحبت من ليبيا حتى لا تقع بين شقي الرحى (الجيش الثامن من الشرق وقوات الحلفاء من الغرب)، وفي 15 نوفمبر بلغ عدد قوات المحور في تونس نحو خمسة عشر ألف جندي، وكان يتولى قيادتها الجنرال الألماني فون أزنيم، وقد تمكَّنت هذه القوات بفضل هجماتها المضادة من وقف تقدم قوات الحلفاء (الأمريكية والبريطانية)، وانتهى الأمر باحتلال قوات الحلفاء خطًّا دفاعيًّا يمتد قرابة 400كم، وكان يمتد من (رأس سراط) شمالاً بالقرب من البحر المتوسط إلى (قفصة) جنوبًا.

وفي 14 يناير 1943 عُقِدَ مؤتمر الحلفاء في الدار البيضاء على المحيط الأطلنطي بالمغرب، وتقرَّر في هذا المؤتمر وضع جميع قوات الحلفاء في شمال أفريقيا (تونس والجزائر والمغرب) تحت القيادة العامة للجنرال الأمريكي إيزنهاور، وعُيِّنَ الجنرال البريطاني هارولد ألكسندر نائبًا للقائد العام ومارشال الجو البريطاني تيدر قائدًا لجميع القوات الجوية للحلفاء في البحر المتوسط، وبذلك أصبحت جميع عمليات الجيش الثامن في تونس وقوات الغزو البريطانية الأمريكية في الشمال الأفريقي تحت قيادة موحدة.

وكان مونتجومري قد قرَّر عقب احتلال طرابلس مطاردة قوات المحور التي اجتازت الحدود التونسية بقيادة روميل مستهدفًا الوصول إلى الخط الدفاعي المنيع (خط مارث) تمهيداً لاقتحامه، وقد أقام الفرنسيون هذا الخط عام 1936؛ أي قبل الحرب العالمية الثانية للدفاع عن تونس ضد أي هجوم إيطالي يُشَنُّ من ليبيا التي كانت واقعة وقتئذ تحت الاحتلال الإيطالي؛ ونظرًا لسوء الموقف الإداري للجيش الثامن بعد أن طال خط مواصلاته بهذه الصورة غير العادية، لذا لم يتمكن مونتجومري من القيام بعملية المطاردة داخل تونس سوى بالفرقة 7 المدرعة من الفيلق 30، بينما احتفظ بالفرقتين الأخريين (النيوزيلندية و51 مشاة) بمنطقة العاصمة الليبية طرابلس بهدف إعادة التنظيم والتدريب، وعلى الرغم من عنف مقاومة مؤخرات قوات المحور المنسحبة غربًا فقد تمكَّنت الفرقة 7 المدرعة من دخول مدينة (أم جاردين) التونسية، وبعد تعزيزها بالفرقة

51 مشاة التي أحضروها من طرابلس سقطت مدينة (مدنين) في أيدي الفرقتين البريطانيتين.

وبالنسبة لقوات المحور كانت القيادة الألمانية قد تم لها في فبراير 1943 تشكيل الجيش الأفريقي الذي أُسندَت قيادته إلى الفيلد مارشال إروين روميل، وكان يتشكَّل من جيش البانزر الخامس الذي كان يضم القوات الجديدة التي أُرسلَت إلى تونس بحراً وجواً، وكان يتولى قيادته الجنرال الألماني فون أرنيم، وكذا الجيش الأول الإيطالي كان يضم الفيلقين الإيطاليين 20 و21 اللذين قدما من ليبيا، وكان يتولى قيادته الجنرال الإيطالي ميس، وكانت القيادة العليا الألمانية في برلين ما زالت تعتقد أنه يمكن لها المحافظة على رأس الكوبري الذي أقامته قوات المحور حول العاصمة تونس وميناءها بنزرت، وإجبار جيش الحلفاء الكبير على البقاء أمامه مشلول الحركة.

ونظراً لأن روميل لم يكن قد فقد بعد روحه الهجومية كما لم يكن من عادته البقاء ساكنًا انتظاراً لهجمات توجه ضده، ولم يكن من الضروري أن يكون هدفه هذه المرة هو الجيش الثامن فقد كان هناك أيضًا في تونس الجيش الأول الأمريكي، وكان يحتل مواقعه ضمن الخط الدفاعي الممتد من الخط الدفاعي للحلفاء، وهو الفرقة المدرعة الأولى من الفيلق الثاني الأمريكي في منطقة (قفصة)، وأعاد روميل فرقته الوفية له 21 البانزر تسليحها بدبابات من الطراز الجديد (تيجر)، وهي من ضمن الأسلحة والمعدات التي أُرسلَت مع القوات الألمانية إلى تونس، وبعد أن استكمل استعداداته انقض روميل بفرقته الألمانية 21 المدرعة على الفرقة الأمريكية في 14 فبراير 1943، وتم له اكتساح المواقع الأمامية للفرقة، مما مكَّنه بعد ذلك من اختراق مواقع الفيلق الثاني الأمريكي الذي سارع جنوده بالانسحاب شمالاً في حالة شاملة من الفوضى والاضطراب، وكان ذلك يشبه إلى حد كبير ما جرى لقوات الجيش الثامن في معركة الغزالة في برقة في يونيو 1942.

وإزاء تطور الموقف ذلك التطور بالغ الخطورة إذ أصبحت مواقع القوات البريطانية في شمال تونس، وخاصة الفيلق الخامس البريطاني مهدَّدة بالتطويق، لذا أرسل الجنرال ألكسندر في 20 فبراير إلى الجنرال مونتجومري يطلب منه التدخُّل العاجل في الموقف المتحرِّج، وضرورة الضغط بشدة على قوات المحور التي يواجهها الجيش الثامن في خط مارث (الذي سحب منه روميل بعض القوات لتدعيم هجومه الأخير)؛ لإجباره على تخفيف حدة هجومه على الفيلق الأمريكي، وعلى الرغم من أن موقف الجيش الثامن في ذلك الوقت لم يكن مناسبًا للقيام بعمليات هجومية رئيسية على خط مارث فإن مونتجومري قرَّر تقديم كل ما يمكنه من ضغوط على قوات المحور التي تواجهه؛ إنقاذًا لموقف قوات الحلفاء في شمال تونس؛ لذا أمر الفرقتين 7 المدرعة و51 مشاة بتشديد ضغطهما على خط مارث، ولكن دون التورُّط في معارك رئيسية.

وقرب نهاية فبراير توقَّف الهجوم الألماني في قطاع قفصة، وعاد الفيلق الثاني الأمريكي ليحتل مواقعه الدفاعية الأصلية، وكان الفضل الأكبر في إنقاذ الموقف يرجع إلى شدة هجمات السلاح الجوي للحلفاء على قوات المحور الأرضية؛ نظرًا لما كان يحوزه هذا السلاح من سيادة جوية كاملة على مسرح العمليات في الشمال الأفريقي، ولم تلبث أنباء الاستطلاع أن أفادت بأن القيادة الألمانية أخذت في تحويل قواتها المدرعة من منطقة قفصة إلى خط مارث، وبذا تم لها حشد ثلاث فرق بانزر (مدرعة) هي: الفرقتان 15 و21 البانزر القديمتان، والفرقة 10 البانزر الجديدة التي انتقلت من ألمانيا إلى تونس عقب غزو الحلفاء لشمال أفريقيا، مما جعل مونتجومري يدرك أن جبهة الجيش الثامن ستتعرض خلال بضعة أيام لهجوم ألماني رئيسي كان يستهدف إجبار قوات الجيش الثامن على التخلي عن منطقة ابن جاردين، وتعطيل عمليات هذا الجيش بصورة مؤثرة لإتاحة الفرصة للقيادة الألمانية لشنِّ عملياتها ضد قطاعات أخرى من جبهة الحلفاء في شمال تونس.